زِيحُ الدّم

«صَـوْتُ دَمِ أَخِيـكَ صَـارِخٌ إِلَـيَّ مِـنَ الأَرْضِ»
تكوين ٤/ ١٢

أحمد بلحاج آية وارهام

- ١ -

لَمْلَمَتْ أَوْرَاقَهَا ٱلأَرْضُ
وَمَاءَتْ
فَوْقَ شُطْآنِ ٱلْهَوَاجِسْ
آلَةَ غَرْثَى،
وَمِنْ أَسْطَارِهَا
أَوْقَدَتْ بَرْقَ ٱلْجَسَدْ
لاَ أَنَا حِينَ تَشَاءْ
شَفَةٌ تَمْتَصُّ أَطْبَاءَ ٱلرِّيَاءْ
لاَ وَلاَ سُرَّتُهَا حِينَ أَشَاءْ
تَجْمَعُ ٱلنَّبْضَ ٱلَّذِي يَسْقُطُ مِنِّي

- ٢ -

يَا تُرَاباً مِنْ بَرِيقِ ٱلْحَرْفِ؛
يَا جِلْدَ ٱلأَبَدْ
حِنْطَتِي تَحْتَكَ جَاعَتْ
وَٱللَّيَالِي كَٱلتَّجَاعِيدِ عَلَى ٱلْعُمْرِ ٱسْتَوَتْ
رَبَّةٌ مَخْتُونَةٌ
كَيْفَ أَزْدِهَاءُ ٱلْحَجْبِ يَسْقِينِي
وَيَسْقِيهَا؟!
شِرَاكُ ٱلنَّصِّ لاَ تُمْطِرُ بِٱسْمِي
وَأَنَا أَغْرَقُ فِي مَاءِ أَسَامِيهَا بِصَوْتِي.

كَانَتِ ٱلنُّقْطَةُ تُقْصِينِي
وَكَانَتْ
فِضَّةُ ٱلتَّأْوِيلِ سِنْبَالِي
أُرَانِي فِي مَرَايَا ٱلإِخْتِلاَفْ
جَذْوَةً يَقْطُرُ مِنْهَا زَمَنٌ
مِنْ دَمِ ٱلسِّرِّ ٱلْمُعَنَّى
زَمَنٌ مُلْتَحِفٌ نَاسُوتَهُ
فِي عَرَاءٍ قُدُسِيّ
وَصَقِيعٍ لُغَوِي.

- ٣ -

لاَذَتِ ٱلذَّاتُ بِمَوْعُودِ ٱلسُّؤَالْ
حِينَمَا فَوْقَ خُطَاهَا
سَقَطَ ٱلْكَوْنُ عَمَاءْ
مِنْ صَفَاءَاتِ ٱلْهُوِيَّهْ
وَٱنْتَضَتْ أَمْوَاجَهَا مِنْ فَائِضِ ٱلْمَعْنَى
وَأَسْرِ ٱلإِبْتِهَالْ.

- ٤ -

هَطَلُواْ...
وَٱلرُّوحُ لَمْ تُشْرِكْ
عُوَاءُ ٱلْوَسْوَسَاتْ
عَطَشُ ٱلْقَوْسِ
تُخُومُ ٱلْهَيْنَمَاتْ
كُلُّهَا خَلْفَ مَرَايَاهُمْ
تُوَالِي...
نَسْجَ قُمْصَانِ ٱلسَّمَاءْ
وَحْدَهَا كَيْنُونَتِي
تَسْتَرِقُّ ٱلظِّلَّ
وَيُلْغِي وَقْتَهَا زِيحُ ٱلدِّمَاءْ،
خَرَجَتْ تحْتَ أَزِيزِ ٱلْمُعْجِزَاتْ
مِنْ شُقُوقِ ٱلأَبْجَدِيَّهْ
وَيَقِينِ ٱلشُّرُفَاتْ
لِفَضَاءِ ٱلْهَجْسِ،
طَافُواْ حَوْلَهَا
بِٱلزُّيُوتِ ٱلْقُدُسِيَّهْ
مَسَّدُوهَا
وَٱلْحِرَاب ٱلْوَثَنِيَّهْ
سَقَطَتْ مَخْمُورَةَ ٱلضَّوْءِ
وَفِي أَحْشَائِهَا
كَانَتِ ٱلرُّؤْيَا صَهِيلاً
وَعَنَاقِيدَ عِبَارَهْ
سَقَطَتْ... وَٱلْوَهْمُ أَضْرَى

سَقَطَتْ . . . مِنْ دَمِهَا ٱلصَّاحِي ٱسْتَرَابُواْ
وَعَلَى أَمْشَاجِهَا
أَشْعَلُواْ ٱلرَّقْصَ بِأَقْدَامِ ٱلْمَسَاءْ
سَقَطَتْ . . . وَٱلْخَطْوُ أَمْسْ
يَقْرَأُ ٱلآتِي بِحِسٍّ غَابَوِي .

- ٥ -

صِرْتُ مَا صِرْتُ
وَمَا قَدْ سَأَصِيرْ
فِي هَوَاءٍ وَثَنِيٍّ
نَغْمَةً
مِجْمَرَةً
جُثَّةً
فِي جَوْفِهَا
عَشَّشَ ٱلرَّبّ
وَٱسْتَلْقَى ٱلأَبَدْ
كَقَطِيعِ ٱلأُمْنِيَاتْ .
(يُحْزِنُنِي صَنِيعُهُمْ
لا فِي ٱلنَّهَارِ أَسْتَرِيحْ
لاَ فِي ٱلْمَسَاءِ أَهْجَعُ
كَيْفَ أُبِيدُهُمْ؟ .
وَأُفْنِي مَا بِهِ قَدْ طَلَعُواْ؟
لِتُشْرِقَ ٱلسَّكِينَةُ ٱلْمُغْتَالَهْ
وَتَشْرَبَ ٱلْجُذُورُ رَاحَةَ ٱلصَّفَاءْ) .

- ٦ -

جِسْمُهُ ٱلرَّوْعَةُ
مِنْ كُلِّ ٱلْجِهَاتْ
يَنْهَضُ ٱلتَّوْقُ إِلَيْهِ
حَامِلاً حَفْنَةَ تَهْلِيلِ
وَآذَانَ ٱشْتِهَاءْ،
أَرْبَعاً أَعْيُنُهُ أَضْحَتْ
وَأَضْحَتْ
أَرْبَعاً أَذْرُعُهُ،
فَإِذَا مَا أَوْرَقَتْ فِي شَفَتَيْهِ
لُغَةٌ
صَارَتْ لَهَا ٱلأَنْهَارُ وَجْهاً وَقِنَاعْ
غَيْرَ شَمْسِ ٱلشَّمْسِ لَمْ يُنْجِبْ
فَمِنْ قَطْرَتِهِ
تَبْزُغُ أَشْكَالُ ٱلْخَفِيِّ ٱلْمُشْتَهَى
تُلْقِمُ ٱلرُّوحَ ثُدِيّاً
بَعْدَمَا فِي ٱلْعُلاَ
مِنْ لَحْمِهِ
مِنْ دَمِهِ
مَسَحُواْ ٱلطَّقْسَ
وَدَقُّواْ فِي سَدِيمِ ٱلْغَيْبِ طَبْلَ ٱلْهَيْمَنَهْ .

- ٧ -

أَيُّهَا ٱلطِّينُ؛
أَيَا قَاعَ ٱلتَّوَارِيخِ ٱلَّتِي مِنْ بَيْدَرِي
تُطْعِمُ وُدّاً وَسُوَاعْ
إِنَّنِي قُرْبَانُ وَمْضٍ
مِنْ بُذُورِ ٱلأَلْسِ
أَطْوِي بِدَمِي
نَقْشَ هَذَا ٱلْعَدَمِ
وَأُزَكِّي شَجَرَ ٱلْمَوْتَى
وَنَارَ ٱلْفِطْرَةِ ٱلْحُبْلَى بِيَاقُوتِ ٱلظُّنُونْ .
فَوْقَ غُصْنِ ٱلرِّيحِ رَأْسِي
بَيْنَ كَفِّ ٱلنُّورِ قَلْبِي
وَٱلْمَدَى قَامَةُ أَيَّامِي،
فَهَلْ تَكْتَالُ مِنْ غَيْرِ بَرِيدِي
صَافِنَاتُ ٱلْحَدْسِ؟!
أَوْيَشْرَبُ مِنْ غَيْرِ وَرِيدِي
كَائِنُ ٱلإِثْمِ ٱلْجَمِيلْ؟!

- ٨ -

مَشَّطَتْ حَالَتَهَا ٱلأَرْضُ
وَفِي سَكْرَتِهَا
وَشْوَشَتْ لِلنَّهْدِ .
كَانَ ٱلأُفْقُ طِفْلاً .
فِي قِمَاطٍ مِنْ كَوَابِيسَ
وَكَانَتْ نَبَضَاتٌ
تَتَغَيَّا أَلِفَ ٱلْبُشْرَى
وَمِيمَ ٱلْمُسْتَحِيلْ،
شَطَرَتْ جُمْجُمَةَ ٱلصَّمْتِ
وَصَاحَتْ
لِتَجَلِّيهَا أَوَتْ غِزْلاَنُ وِجْدَانٍ
وَأَوْعَالُ يَقِينْ،
مَا ٱلَّذِي ظَامِئاً يَعْرُجُ فِي أَنْفَاسِهَا؟
مَا ٱلَّذِي مِنْ تَقَاوِيمِ يَدَيْهَا
يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ٱلنَّبِيلْ؟

- ٩ -

عِنْدَمَا طَلَّقْتُ جِذْعِي
وَٱسْتَصَمَّ ٱلنَّبْعُ أَضْوَاءَ ٱلْغَرَائِزْ
غَالَنِي يَحْمُومُ رَاعٍ
مِنْ سُلاَلاَتِ ٱلنُّصُوصْ .
هَا نَجِيعِي قَمَرٌ
بَاتَ مَنْسِيّاً عَلَى أَهْدَابِ أَرْضٍ
وَلَجَتْ شَهْوَتُهَا صَحْنَ ٱلْعَمَاءْ
قَمَرٌ مِنْ حَرَدٍ
بَاتَ مَنْسِيّاً؛ وَهِيجِي سَطْرُهُ
وَهِيَ ٱلسِّكِّينُ مَوْشُومٌ صَدَاهَا
فَسِقَتْ عَنْ طَبْعِهَا
وَأَنَا مِحْرَابُهَا
كَيْفَ تَسْتَبْطِنُ بَذْئِي
وَتُذَرِّينِي مُدُوداً بَيْنَ أَفْخَاذِ ٱلْغِيَابْ؟!
آسِنٌ تَغْرِيدُهَا
مِنْ كِبْرِيَاءِ ٱلْمَحْوِ يَأْتِي
وَهُبُوبِي مَلَكُوتٌ
مُشْرِقاً مَازَال
كَٱلشَّمْسِ، عَلَى حُلُمِ ٱلْمَوْتَى
وَأَحْرَاشِ ٱلْعُصُورْ .

مراكش